مجلة المجمع العلمي

بغداد في رحلة ناصر الدين شاه للعتبات المقدسة في العراق سنة ١٨٧٠ - ١٨٧١

الدكتور جميل موسى النجار

قسم التاريخ- كلية التربية

الجامعة المستنصرية

الملخص :

تكتسب الرحلات أهمية لما فيها من معلومات لا يجدها القراء والباحثون في الكتب العامة . واشتهرت في اللغة العربية (رحلة ابن جبير) و (رحلة بن بطوطة) وعرفت في الفارسية (رحلة ناصر الدين شاه) التي دون فيها ما شاهده في بغداد ، وزيارته للعتبات المقدسة في العراق ، وفيه معلومات عما كان عليه الوضع في القرن التاسع عشر .

المقدمة :

أولا : في إطار التوصيف والتقديم

قام الملك الايراني ناصر الدين شاه (١٨٤٨- ١٨٩٦) بزيارة الى العتبات المقدسة في العراق في أواخر سنة ١٨٧٠ . واستمرت تلك الزيارة حتى مطلع سنة ١٨٧١ . وكان العراق خلال زيارته ولاية عثمانية واحدة تعرف بولاية بغداد ، تتبعها الموصل والبصرة بوصفهما سنجقين من سناجقها

العشرة . وكان يتولى حكم ولاية بغداد آنذاك الوالي العثماني المصلح مدحت باشا أحد مشاهير رجال الدولة العثمانية . وقد دخل ناصر الدين شاه الى ولاية بغداد من حدودها مع إيران ، القريبة من مدينة خانقين في ٢٢ شعبان ١٢٨٧هـ[١] ، الموافق ١٧ تشرين الثاني ١٨٧٠م . وبعد أن مكث في العراق خمسة وخمسين يوما ، مرّ خلالهما بمدن وأماكن عديدة تقع في مسيره على الطرق المؤدية الى العتبات المقدسة في بغداد وكربلاء والنجف وسامراء . غادر ناصر الدين شاه أراضي ولاية بغداد في ١٧ شوال ١٢٨٧هـ[٢] ، الموافق ١٠ كانون الثاني سنة ١٨٧١م . وقد استغرقت رحلة ناصر الدين شاه لزيارة العتبات المقدسة في العراق بأكملها أكثر من خمسة أشهر ، فقد انطلق موكب الشاه من طهران في ٢٠ جمادى الأخرة

---

[١] الزوراء(جريدة) ، العدد ٩٦ ، ٢٦ شعبان ١٢٨٧هـ . ويذكر ناصر الدين شاه في رحلته (سفرنامه عتبات) ، أنه وصل خانقين في ٢١ شعبان ١٢٨٧هـ . سفرنامهٔ عتبات(سال ١٢٨٧ قمرى) ، از ناصر الدين شاه قاجار ، با مقدمه وفهرست وبازخوانى به كوشش ايرج افشار ، چاپ اول ، انتشارات فردوسى ، تهران ١٣٦٣ ، ص٨٦ . ويرجع الاختلاف في تحديد تاريخ وصوله ، بين ما ذكرته جريدة الزوراء وما ذكره هو ، الى الاختلاف الذي يحصل أحيانا في تحديد بدايات الشهور القمرية بين إيران والدولة العثمانية .

[٢] سفرنامهٔ عتبات ، ص١٦٥ . على أن مصدرا فارسيا ذكر ، خطأ ، أن ناصر الدين شاه مكث في العراق ثلاثة أشهر . يراجع : ساسانى ، خان ملك ، سياستگران دورهٔ قاجار ، به كوشش سيد مرتضى آب داود ، چاپ اول ، انتشارات مگستان . تهران ١٣٧٩ ، ص٤٤٣ .

١٢٩١هـ[٣] ، الموافق ١٧ أيلول ١٨٧٠م ، وعاد الى طهران في عزة ذي الحجة ١٢٨٧هـ[٤] ، الموافق ٢٢ شباط ١٨٧١م .

ومن الجدير بالذكر أن ناصر الدين شاه قام برحلات عديدة داخل إيران وخارجها ، اتسمت بكونها رحلات استغرقت أزمانا ومسافات طويلة[٥] . وكان في رحلاته الخارجية أول عاهل إيراني يزور أوربا[٦] . وقد دون الشاه خلال رحلاته تلك مشاهداته وانطباعاته وأفكاره ، وأسماء الأماكن التي مرّ بها ، ووصف المدن التي نزل فيها ، وذكر الأشخاص الذين التقى بهم ، فضلا عن معلومات طريفة أخرى ، أو أملى ذلك كله على من قام بكتابتها من مرافقيه ورجاله المقربين ، مثل (حكيم الممالك) ، فيما يتعلق برحلته

---

[٣] الروزنامه ، العدد ٩٣ ، ١٥ شعبان ١٢٨٧هـ ؛ شميم ، علي اصغر ، ايران در دوره سلطنت قاجار ، چاپ سوم ، انتشارات زرياب ، تهران ١٣٨٤ ، ص١٩ ؛ ولايتي ، علي اكبر ، تاريخ روابط خارجي ايران دوران ناصر الدين شاه ومظفر الدين شاه ، چاپ دوم ، موسسه چاپ وانتشارات وزارة أمور خارجه ، تهران ١٣٧٥ ، ص٩٦ .

[٤] سفرنامه عتبات ، ص ١٨٨ ؛ ولايتي ، همانجا ، ص٩٧ ؛ اعتماد السلطنة ، تاريخ منتظم ناصري ، جلد سوم ، به تصحيح دكتر محمد اسماعيل رضوانى ، چاپ أول ، دنياى كتاب ، تهران ١٣٦٧ ، ص ١٩١٦ ؛ طلوعي ، محمود ، هفت پادشاه ، تاكفته ها از زندگي وروزگار سلاطين قاجار ، جلد اول ، چاپ اول ، نشر علم ، تهران ١٣٧٧ ، ص٤٨٠ .

[٥] بناهي سمناني ، محمد احمد ، ناصر الدين شاه . فرار وفرود استبداد سنتي در ايران ، چاپ اول ، انتشارات نمونه ، تهران ١٣٧٧ ، ص٢٦٤ .

[٦] شميم ، همان مأخذ ، ص١٨٧ ؛ مارڤام ، كلمنت ، تاريخ ايران در دوره قاجار ، ترجمه گونه از ميرزا رحيم فرزانه ، چاپ دوم ، نشر فرهنگ ايران ، ايران ١٣٦٧ ، ص١٦٧ .

الأدنى الى خراسان ، و(محمد حسن خان اعتماد السلطنة) ، الذي قام بكتابة رحلته الى مازندران . الا أن ناصر الدين شاه دون بنفسه ، كما تشير دلائل عديدة ، يومياته رحلته الى العتبات المقدسة في العراق[٧] . وكانت رحلاته داخل إيران ، هي :

١- رحلة خراسان الأولى في سنة ١٢٨٣هـ ، نشرت في طهران في سنة ١٢٨٦هـ .

٢- رحلة خراسان الثانية في سنة ١٣٠٠هـ ، وقد نشرت في طهران أيضا .

٣- رحلة مازندران في سنة ١٢٩٢هـ ، نشرت في سنة ١٢٩٤هـ .

٤- رحلة عراق العجم في سنة ١٣٠٩هـ ، نشرت في سنة ١٣١١هـ .

أما رحلات ناصر الدين شاه خارج إيران ، فكانت :

١- الرحلة الأولى الى أوربا في سنة ١٢٩٠ ، نشرت في سنة ١٢٩١هـ .

٢- الرحلة الثانية الى أوربا في سنة ١٢٩٥ ، نشرت في سنة ١٢٩٦هـ .

٣- الرحلة الثالثة الى أوربا في سنة ١٣٠٦هـ ، نشرت في سنة ١٣٠٨هـ .

وقد ترجمت الى اللغة الانكليزية ونشرت ملخصات لهذه السفرات الثلاث.

٤- رحلة العتبات في العراق في سنة ١٢٨٧هـ[٩] .

---

[٧] بيانى ، دكتر خانبابا ، پيجاه سال تاريخ ايران در دورهٔ ناصرى ، جلد اول ، چاپ اول ، انتشر علم ، تهران ١٣٧٥ ، ص٤٣٢ .

[٨] نفس المصدر السابق ، ص٢٦٣

[٩] بيانى ، همان مأخذ ، ص٤٣٢ - ٤٣٣ .

ويعد مما تجب الإشارة اليه ، قبل الخوض في الحديث عن مشاهدات ناصر الدين شاه في بغداد وانطباعاته عنها ، مما دونه في رحلته (سفرنامه عتبات) ، هو أن زيارة الشاه للعتبات المقدسة في ولاية بغداد (العثمانية) جاءت في وقت كانت تمر فيه علاقات إيران مع الدولة العثمانية بمرحلة من الهدوء والإستقرار . كان يسعى خلالها كل من الجانبين الإيراني والعثماني الى تطبيع العلاقات بينهما وتحسينها ، منذ أن أرست بنود معاهدتي أرضروم الأولى والثانية اللتين أبرمتا بين الدولة العثمانية وإيران في سنتي ١٨٢٣ و١٨٤٧ ، مبادىء وأسس مثل هذه العلاقة الحسنة . فقد أنهت هاتان المعاهدتان ، لاسيما معاهدة أرضروم الثانية ، حروبا كبرى ومماحكات عسكرية بين الدولتين استمرت لأكثر من ثلاثة قرون ، وقلصت الى حدّ كبير من المشاكل والخلافات بينهما . ومن ثم فقد استقبل ناصر الدين شاه في ولاية بغداد خلال زيارته للعتبات المقدسة استقبالا رسميا عثمانيا حافلا ، أظهر فيه العثمانيون ترحيبا حارا بضيفهم الإيراني ، واهتماما كبيرا به[١٠] ، الأمر الذي انعكس ، كما سنلاحظ ، على طبيعة الوصف الذي كتبه ناصر الدين شاه لبغداد في رحلته .

ومما انعكس أيضا على طبيعة وصف ناصر الدين شاه لبغداد ، أو لسواها من المدن العراقية التي مر بها أو التي زارها خلال رحلته ، هو مشاعر الولاء والمحبة لآل بيت النبي(صلى الله عليه وسلم) التي تأججت

---

[١٠] للتفاصيل : النجار ، جميل موسى ، مظاهر الترحيب الرسمي بناصر الدين شاه خلال زيارته للعتبات المقدسة في العراق سنة ١٢٨٧هـ- ١٨٧٠م ، دراسات تاريخية (مجلة - بيت الحكمة) ، العدد ٣٠ ، السنة العاشرة ، بغداد ١٤٣٢هـ- ٢٠١١م

سنده خلال تلك الرحلة . كتب قبل رحلته الى العراق الى السفير الإيراني في العاصمة العثمانية استانبول (وزير مختار إيران مقيم استانبول) محمد حسين خان مشير الدولة ، يطلب منه أن يفاتح الخارجية العثمانية برغبته في زيارة العتبات المقدسة في العراق . كيما يستحصل موافقة الدولة العثمانية عليها ، قائلا له أن أمر السفر الى العراق لزيارة مراقد أئمة أهل البيت واجب لأنه قد نذر أن يزورهم وعليه أن يفي بالنذر[١١] . كما أن الشاه كان يحدث بأنه شاهد في عالم الرؤيا أنه موجود في الروضة الحسينية المطهرة في كربلاء يقوم بأداء زيارة الإمام الحسين بن علي(عليه السلام)[١٢] ، ومن ثم لابد لهذه الرؤيا أن تتحقق

دون ناصر الدين شاه يوميات رحلته الى العتبات المقدسة في العراق منذ انطلاقه من سلطنة آباد في طهران في يوم الجمعة العشرين من شهر جمادى الآخرة سنة ١٢٨٧هـ . وكتب قبل أن يشرع بسرد يوميات سفره العبارة الآتية : (يوميات السفر من طهران الى كربلاء والنجف وسائر المواطن والمراقد المطهرة لأئمة الهدى والأولياء والشهدا عليهم السلام سنة ١٢٨٧هـ) . وقد طبعت هذه اليوميات تحت عنوان : (سفرنامه عتبات . . سال ١٢٨٧ قمرى . از ناصر الدين شاه قاجار) ، والطبعة التي بين أيدينا لها حققها وكتب مقدمتها ووضع فهرسة لها الباحث الإيراني إيرج افشار المتخصص في الدراسات الإيرانية . ونشرت نشرا مشتركا من قبل

---

[١١] طلوعي ، همان مأخذ ، ص٤٧٨-٤٧٩ .

[١٢] اعظام قدسي ، حسن ، كتاب خاطرات من . . يا روشن شدن تاريخ صد ساله ، چاپخانه حيدري ، طهران ١٣٤٢ ، ص٦٣

للناشرين (انتشارات فردوسي) ، (انتشارات عطار) ، وطبعت ، طبعة أولى للناشرين ، في مطبعة (رشدية) في طهران سنة ١٣٦٣هـ - ١٩٤٣م ، تسع وثمانين ومائتي صفحة .

وعلى الرغم من أن جانب مما دونه ناصر الدين شاه في (سفرنامه عتبات) ليست له أهمية تاريخيه ، سواء أكانت تتعلق بتاريخ إيران أم بتاريخ العراق ، كونه يتحدث ، مثلا ، عن انطباعات ومشاعر شخصية للشاه ، والطعام الذي يتناوله ، ولهوه مع قطعه ، وخروجه لصيد الدراج مرارا خلال وجوده في العراق ، فان كثيرا جدا مما كتبه الشاه في سفرنامه عتبات كانت له أهمية كبيرة لتاريخ إيران ولتاريخ العراق في العهد العثماني الأخير ويعد مصدرا أصيلا لهما . إلا أن إدراك هذه الأهمية ، متمثلا بترجمة رحلة ناصر الدين شاه من اللغة الفارسية الى اللغة العربية ووضعها في متناول باحثيا ، جاء متأخرا ومتعسرا ، فقد قام الأستاذ محمد الشيخ هادي الأسدي بترجمة يوميات الرحلة الخاصة بأيام وجود ناصر الدين شاه في العراق فحسب ، دون ترجمة الرحلة بأكملها . ونشرت مؤسسة آفاق للدراسات والأبحاث العراقية في بغداد هذه الترجمة سنة ٢٠١١ ، في كتاب عنوانه : (العراق في مشاهدات ناصر الدين شاه) . إلا أن هذا الكتاب ، الذي بلغ مجموع صفحاته تسعا وثلاثين ومائتي صفحة ، خصص ست صفحات ومائة من صفحاته فحسب (ص١١٥ - ص٢٢١) لترجمة جزء من رحلة ناصر الدين شاه (سفرنامه عتبات) ، وهو الجزء الخاص ، كما ذكرنا من قبل ، بيوميات الشاه في العراق . أما بقية صفحات الكتاب فقد تضمنت ترجمة من الفارسية ، للمترجم نفسه ، لرحلة عبد العلي خان (أديب الملك)

الى العتبات المقدسة في العراق في سنة ١٢٧٣هـ- ١٨٥٦ م ، ورحلة سيف الدولة (حفيد فتح علي شاه القاجاري) التي قام بها سنة ١٢٨٠هـ- ١٨٦٣م لزيارة العتبات المقدسة في العراق . وفضلا عن اقتصار ترجمة الأستاذ محمد الأسدي على الجزء الخاص بالعراق من رحلة ناصر الدين شاه (سفرنامه' عتبات) ، فان ترجمته كانت تختصر أحيانا النص الأصلي ، وهي بحاجة ، في مجملها ، ايضا الى تأن وجهد إضافيين يكفلان تنقيتها من أخطاء اللغة والنحو الإملاء ، كما كانت تحتاج في الوقت نفسه الى مراجعة خبير في التاريخ متخصص في حقبة مادة الترجمة وموضوعها ، لتلافي الأخطاء التاريخية التي وردت في ترجمة النص الفارسي والتعليق عليه من قبل المترجم .

ثانيا : ناصر الدين شاه في بغداد

توقف ناصر الدين شاه في بغداد مرتين خلال رحلته لزيارة العتبات المقدسة في العراق . وأقام في هذه المدينة لمدة أسبوع واحد في زيارته الأولى ، وستة أيام خلال زيارته الثانية ، وزار خلال تلكما المرتين مرقد الإمامين موسى الكاظم ومحمد الجواد ، ومرقد الإمام أبي حنيفة ، ومرقد الشيخ عبد القادر الكيلاني ، ومراقد الصحابة في المدائن . . سلمان الفارسي وحذيفة بن اليمان وعبد الله الأنصاري .

بدأت زيارة ناصر الدين شاه الأولى لمدينة بغداد من يوم الثلاثاء ٢٨ شعبان ١٢٨٧هـ ، الموافق ٢٣ تشرين الثاني ١٨٧٠، وهو اليوم الذي وصل فيه الى المدينة ، واستمرت حتى يوم الإثنين ٤ رمضان ١٢٨٧هـ ، الموافق ٢٩ تشرين الثاني ١٨٧٠م ، حيث غادر ناصر الدين شاه بغداد في

ذلك اليوم متوجها الى مدينة كربلاء ، ومنها الى مدينة النجف ، ثم الى كربلاء ثانية ، ومنها عاد الى بغداد في زيارة ثانية لها ، ومكث فيها من يوم الثلاثاء ٢٦ رمضان ١٢٨٧هـ ، الموافق ٢٠ كانون الأول ١٨٧٠م ، الى يوم الأحد ٢ شوال ١٢٨٧هـ ، الموافق ٢٥ كانون الأول ١٨٧٠م[٣٣] . وغادر بغداد الى سامراء في ذلك اليوم ، ومنها أقفل عائدا الى بلاده .

ثالثا : انطباعات أولى . . الأهالى ومراسيم الإستقبال الرسمي

يصف ناصر الدين شاه استقبال أهالي بغداد له بأنه كان استقبالا حافلا . فقد وقفوا على جانبي الطريق الذي مرّ منه بأعداد كبيرة ، ملتزمين الهدوء التام . وكانت تبدو عليهم آثار البساطة وفقر الحال . وكان يحجب عنه أهالي بغداد الذين خرجوا لاستقباله صف من الجنود العثمانيين المشاة انتظموا على جانبي الطريق ، ومن ورائهم جنود من الخيالة . فالأهالي . ويذكر ناصر الدين شاه أن الأرمن البغداديين وقساوستهم وأطفالهم ، وأطفال اليهود وحاخاماتهم كانوا في طليعة مستقبليه من أهالي بغداد . وقد وقف هؤلاء وأولئك بأدب جم وبشكل منتظم يرددون الأناشيد الجميلة والدعاء له باللغة الفارسية . واصطف معهم أطفال المسلمين الأيتام (طلبة مدرسة الصنائع التي أسسها مدحت باشا) ، وهم جميعا يرتدون الملابس البيضاء النظيفة . ويقول ناصر الدين شاه إن بعض النسوة البغداديات كن يراقبن مشهد الإستقبال من على الأسطح ، وأنه لم ير أية امرأة بين المستقبلين من

---

(٣٣) سفرنامه عتبات ، ص ٩٣- ١٤٧ .

الأهالي . ويصف شوارع بغداد التي مر بها حتى وصوله الى مكان استقباله في ميدان باب الأعظمية(الميدان الحالي) ، بأنها كانت جميلة ومرصوفة بشكل جيد .

رابعا : قوس النصر والقصر الناصري كما يصفهما الشاه

وعقب استكمال مراسيم الإستقبال الرسمي الذي ذكر فيه ناصر الدين شاه في (سفرنامه' عتبات) أسماء كبار مستقبليه العثمانيين المدنيين والعسكريين ، وعلى رأسهم مدحت باشا والي بغداد وقائد الفيلق السادس العثماني المرابط فيها وكمال باشا مبعوث السلطان العثماني عبد العزيز (١٨٦١ - ١٨٧٦) ، وصف الشاه قوس النصر الذي نصب في الطريق الموصل بين ساحة الإستقبال والقصر الذي يقيم فيه الشاه خلال وجوده في بغداد ، والذي بني خصيصا لهذا الغرض وسمي بالقصر الناصري . بأنه – أي القوس – كان جميلا جدا ، وأنه بني حديثا بغرض التكريم والإحتفاء .

أما القصر الناصري ، فذكر الشاه بأنه كان بناية جميلة تطل على نهر دجلة ، ومن سطحها يرى منظر جميل لنهر دجلة ، ولجانب كبير من المدينة ومزارعها ، وهو مزين بشكل أنيق ، ومفروش ، ومؤثث بأثاث فاخر . وكانت جدران غرفه مغلفة بالورق ، ومزينة بالمرايا الكبيرة ، وتتدلى الثريات من سقوف غرفه . والقصر ، كما يصفه الشاه ، مبهج جدا بشكل عام ، كونه يقع في بستان يكثر فيه النخيل وأشجار النارنج ، وفيه طرقات مرصوفة بالحجارة ، يعرف ببستان (النجيبية)[١٤] ، نسبة الى والي بغداد محمد

---

[١٤] هماتجا ، ص٩٣-٩٥ .

نجيب باشا [١٨٤٢- ١٨٤٩] . وقد أعجب ناصر الدين شاه بتجهيزات القصر وأثاثه ، وبخدمه وموظفيه الذين كانوا يرتدون الملابس الرسمية ، وبدا عظيما للغاية في نظر الشاه ذلك الإستقبال والإحترام الذي لاقاه في بغداد[١٥] .

خامسا : بغداد من خلال إطلالة الشاه عليها من قصره

أطل الشاه في عصر اليوم الذي وصل فيه الى بغداد من سطح القصر الناصري على مدينة بغداد ، ووصف تلك الإطلالة بأنها كانت رائعة وجميلة ، ولا يمل المرء منها ، كونها تتيح مشاهدة جانب واسع من المدينة وجسرها وبساتينها ، ومبانيها القديمة التي يرجع بعضها الى زمن العباسيين ، ومخيمات المعسكر العثماني فيها ، فضلا عن نهر دجلة ، والسفن الراسية على شواطئه . ويذكر ناصر الدين شاه أن جسرا متقنا جديدا أنشيء على النهر . وكانت ترسو في النهر ثلاث بواخر متوسطة الحجم ، وتمخر فيه ثلاث بواخر صغيرة ، وتوجد (القفف) بكثرة في النهر ، حيث أنها وسيلة التنقل لعامة الناس[١٦] .

" وفي مساء اليوم الذي وصل فيه ناصر الدين شاه الى بغداد . . . أجريت احتفالات ومظاهر ابتهاج رسمية تزينت فيها أبنية الدوائر الحكومية على جانبي نهر دجلة بأنواع متعددة من القناديل ، وهي القلعة ، والسراي (مقر الوالي) ، والقشلة (مقر الفيلق السادس) في جانب الرصافة ،

---

[١٥] طلوعي ، همان مآخذ ، ص١٠٠ - ١٠١

[١٦] سفرنامه عتبات ، ص٩٦ .

والطوبخانة(تكنة المدفعية) ، ومستشفى العرباء ، وقشلة العساكر البحرية ، والدمرخانة(معمل الحديد) في الكرخ . وأطلقت قذائف الألعاب النارية من البواخر النهرية الحكومية الثلاث الراسية قبالة القصر الناصري ، ومن القلعة وسدة خضر الياس المقابلة لها . . . وزين جسر بغداد بأنواع القناديل . . . [١٧] .

ويصف ذلك ناصر الدين شاه بقوله : إن مدينة بغداد أضيئت بالأنوار ، وأطلقت الألعاب النارية ليلا لمدة طويلة . إلا أن الشاه اشتكى من غفلة يحيى خان أحد رجاله ، ونسيانه الأمر الذي أصدره له بأن يخبر الجانب العثماني أن لا يبدأ باطلاق الألعاب النارية إلا حينما يسمع صوت البوق الذي يطلقه حرس الشاه بمر منه ، فقد بدأ العثمانيون يطلقون الألعاب النارية في أثناء تناول الشاه لطعام العشاء ، وقبل أن يصدر الشاه أمره الى الحرس باطلاق البوق ، الأمر الذي أزعجه ، لأنه حرمه من الإستمتاع بالتفرج عليها طوال وقت إطلاقها الذي استغرق أمدا طويلا[١٨] .

سادسا : حرم الكاظمين(ع) والأعظمية كما يصفهما ناصر الدين شاه

توجه ناصر الدين شاه في اليوم الثاني لوجوده في بغداد لزيارة مرقد الإمامين موسى الكاظم ومحمد الجواد(عليهما السلام) ، فعبر من قصره الواقع في جانب الرصافة من بغداد الى جانب الكرخ منها ، كما يذكر في يوميات رحلته ، بباخرة صغيرة صعده فيها والي بغداد مدحت باشا . وعند

---

[١٧] النجار ، مرجع سابق ، ص٣٠

[١٨] سفرنامه عتبات ، ص٦- ٩٧

برونه على شاطئ النهر في جانب الكرخ شاهد بناية قديمة وصفها بأنها من الأبنية التي تعود للعصر العباسي ، وأن الإمام موسى الكاظم(عليه السلام) حبس فيها . ويذكر الشاه أن المسافة الى مرقد الكاظمين هي فرسخ واحد ، اجتازها ومرافقوه بالعربة التي كانت تسير على طريق جيد وصالح للسير ، وأنهم مروا بمسجد براثا ، الذي كان يقع على جهة اليسار ، ويصفه بأنه مسجد صغير محاط بسور وأمام بابه تقف نخلتان . ويقول إن قبر معروف الكرخي يقع في الطرف المقابل لباب المسجد [كذا] . ويذكر أن الطريق الى الكاظمية فيه بساتين وأشجار نخيل كثيرة .

ويذكر ناصر الدين شاه في يوميات رحلته أن أهالي الكاظمية استقبلوه بحفاوة عبرت عنها زغاريد نسائهم ، وخروجهم الى أطراف المدينة لاستقباله ، وأنه مرّ ، وهو في طريقه راجلا الى حرم الكاظمين المطهر ، بزقاق غير نظيف ومزدحم بالبيوت على جانبيه . وكان سادن الحرم والقائمين على خدمته في مقدمة مستقبليه . ويشبه الشاه الحرم المطهر بالجنة ، وأنه آية من آيات الرحمة . ويشكر الله على نعمة زيارته وحصول السعادة له بذلك . ويذكر أنه لاحظ أن الإصلاحات والتعميرات التي أنفق هو عليها ، وكلف الشيخ عبد الحسين الطهراني بإجرائها ، للقبة والسقف والأعمدة والإيوان كانت متقنة وجميلة ، وأن العمل جار لإكساء إيوان المرقد بصفائح الذهب التي تبقت من عمل تذهيب قبة الإمامين على الهادي والحسن العسكري عليهما السلام في سامراء ، الذي أمر الشاه بإجرائه والإنفاق عليه . ويذكر الشاه أنه لاحظ أن السجاد المفروش في الروضة المطهرة وفي الرواق لم يكن جيدا ، فأمر أن يؤتى من إيران ، بدلا عنه ،

سجاد فراهان الفاخر ليفرش في الروضة والرواق . ووجه بإجراء صيانة لجدار الصحن الكاظمي يشرف عليها الشيخ محمد أخو المرحوم الشيخ عبد الحسين الطهراني الذي كان مشرفا على الإصلاحات والتعميرات السابقة التي أجريت للروضة الكاظمية على نفقة الشاه . ويصف ناصر الدين شاه القبة المذهبة لكل من الإمامين موسى الكاظم ومحمد الجواد(عليه السلام) بأنهما كانتا متساويتين تقريبا في الحجم ، ويذكر بأن الشاه إسماعيل الصفوي [١٥٠١ – ١٥٢٤] قد بناهما ، وأن الشهيد [كذا] آقا محمد خان (١٧٩٥ – ١٧٩٧) . (مؤسس حكم الأسرة القاجارية في إيران) ، قام بتذهيبهما ، وقام بتزيين جدران الروضة الكاظمية بالمرايا الميرزا شفيع المازندراني وزير فتح علي شاه القاجاري . ويذكر الشاه أن ضريحا واحدا كبيرا مصنوع من الفولاذ المزين بالفضة ، يضم قبري الكاظم والجواد عليهما السلام . وتعلو الضريح القبة المزينة بالمرايا من الداخل ، وزينت جدران الروضة المظهرة بـ(إزرة) من الكاشي المعرق من النوع الممتاز المتقن الصنع[١٩] .

ويذكر ناصر الدين شاه أنه بعد أن أتم مراسيم زيارة الإمامين الكاظمين(عليه السلام) ، توجه لزيارة قبر الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان(رضي الله عنه) ، وقرأ سورة الفاتحة عند القبر . ويصف الأعظمية بأنها قرية مأهولة بالسكان ، وكانت أزقتها نظيفة ، وتنتشر حول مقبرة أبي حنيفة البيوت والبساتين . ويقول إن القلعة التي تحيط بمقبرة الإمام الأعظم لها أربعة أبراج مبنية بالطابوق بناء محكما على أكمل وجه . ويصف الشاه

---

[١٩] همانجا . ص٩٧– ٩٨ .

خدم الإمام الأعظم بأنهم كانوا واقفين بانتظام ، وأن مسجد الإمام الأعظم مفروش بالسجاد الكردستاني الصغير غالي الثمن ، وأن السلطان مراد الرابع [١٦٢٣- ١٦٤٠] هو من قام بهذا البناء الفخم ، كذلك فان الضريح الفضي لقبر أبي حنيفة هو من آثار هذا السلطان . وتوجد في المسجد قناديل فضية أهداها السلطان عبد العزيز ، وشمعدانات فضية أرسلها السلطان عبد المجيد [١٨٣٩- ١٨٦١][٢٠] .

سابعا : المدائن ومعالم بغداد إليها من طريق دجلة

يذكر ناصر الدين شاه في (سفرنامه عتبات)[٢١] أنه أراد زيارة الصحابي سلمان المحمدي(رضى الله عنه) في المدائن في يوم الخميس ، وهو اليوم الثالث من أيام زيارته الأولى لبغداد ، وتوجه إليها برفقة عدد كبير من أتباعه ، وعدد آخر من المسؤولين العثمانيين كان على رأسهم والي بغداد مدحت باشا وكمال باشا مبعوث السلطان العثماني ، تقلهم باخرة عثمانية كبيرة ، وصفها الشاه بأنها لم تكن نظيفة . ويصف الشاه أبنية بغداد التي شاهدها على جانبي نهر دجلة من على متن الباخرة ، وهي تسير باتجاه الجنوب من نقطة انطلاقها من الشاطئ الذي يطل عليه القصر الناصري مرورا بجسر بغداد [في موقع جسر الشهداء الحالي] ، بأنها كانت تبدو جميلة . وحينما وصلت الباخرة الى جسر بغداد فتح الجسر لتمر منه الباخرة . وذكر الشاه ما شاهده ، من على ظهر الباخرة من منشآت ومعالم طبيعية وأبنية لبغداد وضواحيها . وكان أولها تكنة جديدة للجند ذات بناء

---

[٢٠] همانجا ، ص٩٨ .

[٢١] همانجا ، ص٩٩ .

حسب انشأها الوالي مدحت باشا ، وكانت تقع على الجانب الأيسر [الرصافة][٢٢] . وهذه النكنة قريبة من سراي الوالي ، الذي كان بناؤه ، كما كتب الشاه ، قديما ومتداعيا ، ويفكر مدحت باشا بتجديده . ويذكر الشاه أنه شاهد مكتب الصنائع (مدرسة الصنائع) الذي أنشئ حديثا ، ومبنى إدارة البواخر الحكومية [عمان عثماني اداره سي] ، ومعمل بناء البواخر[٢٣] الذي بناه الإنكليز[٢٤][كذا] ، والمدرسة المستنصرية التي يقول إن بناءها ينسب

---

[٢٢] الذي يقصده ناصر الدين شاه بالنكنة الجديدة ، هي ، فيما يبدو ، (قشلة الضبطية) التي تقع الى جوار السراى وجامع النعمانية(جامع التيلخانه) . قارن : الشيخلي ، السيد محمد رؤوف السيد طه ، المعجم الجغرافي لمدينه بغداد القديمة بين سنة ١٢٧٠ - ١٣٦٠ هجريـة ، ط١ ، مطبعـة البصـرة ١٩٧٧ ، ص١٩٢ ؛ جـواد ، مصطفى وأحمد سوسة ، دليل خارطة بغداد المفصل في خطط بغداد قديما وحديثا ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ١٩٥٨ ، ص٢٣١ ؛ النجار ، جميل موسى ، الإدارة العثمانية في ولاية بغداد ١٨٦٩- ١٩١٧ ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ٢٠٠١ ، ص١٤١

[٢٣] ويقصد به (الفابريقة) أو (الدميرخانه) ، وهي ورشة حكومية لإصلاح البواخر ، وليس لبنائها ، تابعة لإدارة عمان العثماني . ينظر : النجار ، الإدارة العثمانية . . . ، ص٣٩١ .

[٢٤] لم تشر المصادر الى أن الإنكليز بنوا الورشة التابعة للإدارة العثمانية الحكومية للبواخر في ولاية بغداد . إلا أن أحد البريطانيين كان يشرف في سنة ١٨٧٥ على العاملين الفنيين في الورشة ، كما كان كثير من موظفي وربابنة البواخر التابعة لولاية بغداد من البريطانيين . ينظر : سالنامه ، ١٢٩٢ ، دفعه ١ ، مطبعه ولايت بغداد ، ص٦٤ ؛ لوريمر ، ج . ج ، دليل الخليج ، القسم التاريخي ، ج٤ ، مطابع على بن على ، الدوحة (د . ت) ، ص ٢٢٥٤ .

للخليفة العباسي المستنصر ، وأن جدارها المشرف على نهر دجلة تعلوه كتيبة من الآجر كتب عليها بخط الثلث لا تزال موجودة بشكل جيد ، وتبدو كأنها جديدة . وكتب الشاه أنه شاهد أيضا القنصلية البريطانية في بغداد ، التي كان بناؤها جيدا ، وتشرف حديقتها على نهر دجلة ، وكان يقف في شرفاتها عند مروره عدد من الرجال والنساء من الأوربيين . وشاهد كذلك ، كما كتب ، بيت إقبال الدولة ، وبيت مترجم اللغة الانكليزية ميكائيل ، وكانا من البيوت الفاخرة ، وبعض بيوت اليهود ، التي كانت من البيوت الجيدة أيضا . ثم يذكر أن بيوت بغداد أخذت تختفي شيئا فشيئا ، وأخذت تظهر بيوت متواضعة يسكنها الأعراب . وبساتين شاسعة ينتشر فيها النخيل .

إلا أنه يقول إن الجهة اليمنى من المدينة ، التي تدعى بغداد القديمة ، كان لا يزال يشاهد منها المستشفى[٢٥] الذي شرع الوالي مدحت باشا ببنائه مؤخرا ، ومنزل عباس ميرزا الذي كان يبدو جميلا على الرغم من تواضعه ، فضلا عن منازل وأبنية أخرى . ثم يذكر الشاه أن الحدائق وبساتين النخيل أصبحت ترى على جانبي النهر ، وأن النواعير التي تديرها الأحصنة ، والتي كانت تنتشر على كلى شاطئي النهر ، كانت تقوم بسقيها . وكانت أصوات دواليب النواعير تصدر أصواتا حزينة وهي تصب الماء . ويقول إن بعض الزراع يقومون بزراعة الخضر في بعض الجزر

---

[٢٥] وهو المستشفى المعروف بمستشفى الغرباء الذي شيد بمبادرة الوالي مدحت باشا وتبرعات الأهالي . ينظر : الزوراء ، العدد ١٢ ، ٢٣ جمادي الأول ١٢٨٦ ؛ العدد ١٣ ، ١ جمادي الآخر ١٢٨٦ ؛ العدد ١٤ ، ٨ جمادي الآخر ١٢٨٦ . وقد فتح المستشفى سنة ١٨٧٢ . ينظر : النجار ، الإدارة العثمانية . . . ، ص٤٠٣ .

الموجودة في النهر ويسوقونها في هذا الفصل . ووصف ما شاهده في وسط سفنه وعلى ضفتيها من حيوانات كابن آوى ، وطيور مثل دجاج الماء والأوز وطائر البجع وسواها من الطيور التي كانت تسبح في النهر ، بأنها موجودة بكثرة . ويذكر الشاه أن منسوب مياه نهر دجلة كان منخفضا ، لذلك كانت الباخرة تتوخى الحذر وتسير ببطء ، الأمر الذي أدى الى تأخرهم في الوصول الى المدائن[٢٦] .

ويصف ناصر الدين شاه طاق كسرى بأن بناءه يدعو للعجب . ويدون عنه ما نصه : يمكن القول إنه أول أثر في العالم [! كذا] . ويقدر الشاه ارتفاع الطاق بثلاثين ذراعا ، ويقول كانت هناك فوق الطاق أبنية تداعت وتهدمت في الوقت الحاضر يبلغ ارتفاعها ، على وفق تقديره ، خمسة وعشرين ذراعا . ويضيف قائلا : إن طاق كسرى يبعد بمسافة ميدانين خيل عن نهر دجلة ، وميدان واحد عن مقبرة سلمان الفارسي ، التي يصفها بأنها كانت مرقدا صغيرا تحيط به نخلتان أو ثلاث نخلات ، وفيه عدد من الخدم العرب من فقراء الحال . ولما عاد الشاه الى بغداد على ظهر الباخرة نفسها التي جاءت به الى المدائن ، كان الظلام قد حلّ ، فوصف مشهد مسير الباخرة في دجلة ليلا بقوله : كان ضوء النجوم ينعكس على سطح الماء ، وقد رأيت هلال شهر رمضان المبارك مرسوما على مياه النهر[٢٧] .

---

[٢٦] سفرنامه عتبات ، ص٩٩ - ١٠٠ .

[٢٧] همانجا ، ص١٠٢ .

ثامنا : زيارة ثانية للكاظمين(عليهم السلام) .

ويكتب ناصر الدين شاه في (سفرنامه عتبات) عن يوم الجمعة غرة رمضان المبارك (١٢٨٧هـ) ، وهو اليوم الرابع من أيام زيارته لبغداد ، أنه زار الإمامين الكاظم والجواد (عليه السلام) في هذا اليوم ، ولاحظ وجود الباب الفضي في رواق الحرم المطهر ، وهو الباب الذي أمر بصنعه ، كما ذكر ، المحسن الميرزا أمير اخور في إيران وأرسله الى بغداد . وبعد إتمامه زيارة الكاظمين(عليهم السلام) في ذلك اليوم ، انتقل عصرا بالعربة الى رصيف النهر المخصص لرسو المراكب ، على الجهة المقابلة للقصر الناصري ، وركب الباخرة التي أقلته الى رصيف قصره . ويذكر الشاه أنه بعد ذلك شاهد انزال باخرة صغيرة ، تم صنعها في بغداد للتو ، الى مياه نهر دجلة[٢٨] .

ومن الجدير بالذكر أن الباخرة الصغيرة التي يتحدث عنها الشاه ، هي من وسائط النقل المائية المتطورة التي تخلو من المحركات البخارية ، والتي تقوم البواخر بقطرها بغرض زيادة حمولتها ، وكانت تعرف آنذاك بإسم (أشلب) . وكانت إدارة البواخر العثمانية في ولاية بغداد تقوم أحيانا بتحوير الأشلب ليصبح سفينة بخارية صغيرة بعد أن تقوم بتركيب محرك بخاري صغير عليه . وخلال زيارة ناصر الدين شاه كانت هذه الإدارة قد انتهت من تركيب أجزاء أشلب قامت باستيراده ورودته بمحرك بخاري[٢٩] . وقد حضر حفل انزاله الى نهر دجلة بجبي خان الملقب بـ(معتمد الملك) ، وهو أحد

---

[٢٨] همانجا ، ص١٠٣ .

[٢٩] للتفاصيل ينظر : النجار ، جميل موسى ، النقل المائي الحكومي في ولاية بغداد في عهد الوالي مدحت باشا ١٨٦٩- ١٨٧٢ ، وسائطه وخطوطه ، دراسات في التاريخ والآثار(مجلة) ، تصدر عن كلية الآداب- جامعة بغداد ، العدد ٩/١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م ، ص٣٠ .

كبار رجال ناصر الدين شاه ومرافقيه في زيارته للعتبات المقدسة في العراق ، مبعوثا من قبل الشاه ، فأطلق على الأشلب (الباخرة الصغيرة) إسم (يحيى خان)[٣٠] ، ثم استبدل الإسم فيما بعد وأصبح (معتمد)[٣١] . وهذه الباخرة الصغيرة هي التي أشار الشاه ، كما ذكرنا ، الى أنه شاهد إنزالها الى نهر دجلة .

تاسعا : زيارة الشيخ عبد القادر الكيلاني(رضي الله عنه)

في يوم السبت الثاني من رمضان سنة ١٢٨٧هـ ، وهو اليوم الخامس من أيام زيارة ناصر الدين شاه لبغداد ، توجه الشاه الى قبر الشيخ عبد القادر الكيلاني(رضي الله عنه) لزيارته . فخرج من القصر الناصري ، ودخل بغداد ، كما يشير سياق كلامه ، من باب الأعظمية ، المسمى تاريخيا بـ(باب السلطان) ، ذلك أن القصر الناصري كان يقع خارج سور مدينة بغداد . ويصف الشاه قلعة بغداد القديمة التي تقع على الجهة اليمنى للداخل من هذا الباب (أي في موقع مبنى وزارة الدفاع) ، بقوله : إنها كانت بشكل عام تبدو خربة ومهجورة ، وأن بعض جدرانها ومنشأتها القديمة لا تزال باقية ومعمورة ، وبعضها الاخر منهدم ، وأن بناء أبراجها وجدرانها كله بالطابوق غير الجيد الذي يفتقد الى المتانة ، إلا أنه كان مبنيا بشكل محكم .

ويقول : إن وجود سكان بغداد ينحصر بالقرب من نهر دجلة . ويمتد هذا الوجود السكاني طولا على شاطئي النهر على شكل أنية وحدائق وتجمعات سكانية . ولا يمتد كثيرا عرض المدينة لتصبح بعده صحراء

---

[٣٠] الزوراء ، العدد ٩٩ ، ٥ رمضان ١٢٨٧هـ .

[٣١] الزوراء ، العدد ١٠٠ ، ٩ رمضان ١٢٨٧هـ .

لا يسكنها أحد بالمرة . ويذكر الشاه ، بعد اجتيازه باب الأعظمية ودخوله الى داخل مدينة بغداد ، أنه شاهد على الجهة اليمنى أي الجهة الجنوبية [كذا] ، كما يقرر هو ، قبة مخروطية مرتفعة تلفت النظر لم يشاهد مثل بنائها وطرازها في إيران[٣٢] ، وذكروا له ، حينما سأل عنها ، أنها قبة مرقد الشيخ شهاب الدين عمر السهروردي عليه الرحمة ، وأن الناس في بغداد يأتون رجالا ونساءً بكثرة لزيارته ، ويقدمون له النذورات . ثم يصف الشاه أزقة بغداد ومحلاتها بأنها قديمة ، ويذكر أنه في طريقه الى مرقد الشيخ عبد القادر الكيلاني أخذ الزقاق الذي تسير فيه العربة العثمانية التي تقله بالضيق ، مما جعل العربة التي تجرها الخيل لا تتمكن من الحركة والإنحناء الى الزقاق الآخر بذاتها ، الأمر الذي اضطرهم الى دفعها وتحريكها بالأيدي مما تسبب في تضرر أجزاء منها ، واضطر هو للنزول منها كيما تتم استدارتها الى الزقاق الآخر وعاود ركوبها . ثم ترجل منها ومضى الى مرقد الشيخ عبد القادر الكيلاني راجلا بعد أن أصبح قريبا منه .

ويصف ناصر الدين شاه جوانب الصحن الكيلاني بأنها كانت عبارة عن أقواس . وكأن يوجد في نواحي الصحن وشرفاته ، في أثناء زيارته ، جمع كبير من الزوار من الرجال والنساء . ويذكر الشاه أن السلطان العثماني الحالي عبد العزيز قام بتجديد بناء الإيوان والممرات التي تحيط بالضريح ،

---

[٣٢] وهي واحدة من ست قبب مخروطية مماثلة لها في العراق . والقبب الخمس الأخرى هي : قبة زبيدة في جانب الكرخ من بغداد ، وقبة الحسن البصري وابن سيرين في البصرة ، وقبة مشهد الشمس في الحلة ، وقبة إمام دور في قضاء سامراء ، وقبة جامع الكفل في مدينة الكفل . الشيخلي ، المعجم الجغرافي . . . ، ص٨٤ .

الذي كان مصنوعا من الفضة . وتوجد فيه القناديل والشمعدانات ، وتعلوه قبة مرتفعة بناؤها جيد ، وتوجد الى جنبها منارة(مئذنة) جديدة وعالية . ويقول : وهنا ، وكما هو الحال في صحن الإمام الأعظم أبي حنيفة ، يوجد مسجد جيد البناء متصل بمرقد الشيخ عبد القادر الكيلاني ، يزدحم بالمصلين والزوار في أيام رمضان وسائر المناسبات . وهذا المسجد ورواق الضريح هو من منشآت السلطان سليمان[٣٣] والسلطان أحمد[٣٤] ، وسواهم من السلاطين العثمانيين السابقين[٣٥] .

عاشرا : جولة في نهر دجلة

تحدث ناصر الدين شاه عن يوم الأحد الثالث من رمضان سنة ١٢٨٧هـ ، وهو اليوم السادس من أيام زيارته لبغداد والذي كان مقررا فيه أن يستقل الباخرة الحكومية العائدة لولاية بغداد ليقوم بجولة في نهر دجلة ، قائلا : تأخر ركوبنا الباخرة لمدة ست ساعات عن موعده المقرر بسبب مجيء عدد من قساوسة الأرمن وحاخامات اليهود الى المكان الذي يرسو فيه المركب على شاطئ النهر للسلام علينا . وألقى أحد قساوسة الأرمن خطابا طويلا جدا باللغة العربية من ورقة كان يحملها بيده . وبعد ذلك ركبنا الزورق الذي أقلنا الى الباخرة .

---

[٣٣] ويقصد به السلطان العثماني سليمان القانوني(١٥٢٠-١٥٦٦) على ما نرجح .

[٣٤] نرجح أن المقصود به هو السلطان احمد الثالث(١٧٠٣- ١٧٣٠) ، ذلك أن هناك تجديد شاملا للحضرة الكيلانية جرى في سنة ١٧٢٦ .

[٣٥] سفرنامه عتبات ، ص١٠٤ .

وبعد أن سرد الشاه اسماء الذين كانوا معه على ظهر الباخرة من الإيرانيين والعثمانيين ، ذكر انهم تناولوا الغداء على ظهر الباخرة التي كانت تسير ببطء وتؤدة . وقال : انه كان يتفرج على معالم المدينة من الباخرة بواسطة المنظار (التلسكوب) . وبعد أن قطعت الباخرة مسافة سارت بمحاذاة الكاظمين(عليهم السلام) ، مارة بالجهة العليا نحو بستان الفريجات ، وأنه ألح على مدحت باشا للنزول في هذا البستان . ويصف الشاه بستان الفريجات بأنه كان يكثر فيه النخيل وأشجار الحمضيات ، وفيه مبان متواضعة غير منتظمة . وذكر أيضا أن مدحت باشا أتى بخبير في شؤون الزراعة وبالآت زراعية من أوربا[٣٦] ، وجعل من بستان الفريجات محطة تجارب زراعية[٣٧] بغرض استحداث أساليب جديدة في الزراعة تكفل زيادة المحاصيل الزراعية وتحسين نوعيتها .

ثم يذكر الشاه أنهم غادروا بستان الفريجات بعد التجول فيه ، وأن المسافة بينه وبين الكاظمية هي أقل من فرسخ واحد[٣٨] ، وأن طرفي النهر كانا عامرين بالسكان وتنتشر البساتين ومزارع النخيل على امتدادهما . ولاحظ في طريق العودة أن هناك سدا شيد قديما على الجهة اليمنى ، الجهة الجنوبية الغربية كما يقرر ، لتصريف مياه الفيضان . إلا أن السد ، وكما

---

[٣٦] نقلت هذه الآلات الزراعية من أوربا الباخرة(باسل) العائدة لولايه بغداد بتاريخ ، بعدد ٣٦ ، ٢٠ في بعدده ١٢٨٦ . وللتفاصيل ينظر : النجار ، النقل المائي . ، ص١٥ .

[٣٧] كانت تدعى : (بموزه جفتلكي) . النجار ، المرجع والصفحة أنفسهما .

[٣٨] الفرسخ : مقياس قديم من مقاييس الطول يقدر بثلاثة أميال . ويساوي الميل ١,٦٠٩كم ، أي أن الفرسخ الواحد يساوي حوالي ٤,٨٢٧كم .

يصفه الشاه ، أصبح الآن خربا على الرغم من أن بعض جدرانه لا تزال قائمة . ثم يذكر الشاه ، في آخر ما دونه في رحلته في هذا اليوم ، أنه عاد من هذه الرحلة قبل غروب الشمس بنصف ساعة ، وأنه لم يوفق في هذا اليوم لزيارة الكاظمين (عليهم السلام)[٣٩] .

حادي عشر : مغادرة بغداد . . آثار عقرقوف وضواحي المدينة كما بدت للشاه

كان يوم الإثنين الرابع من شهر رمضان سنة ١٢٨٧هـ ، هو اليوم السابع والأخير من أيام زيارة ناصر الدين شاه لبغداد ، إذ غادر فيه الشاه مدينة بغداد متوجها الى كربلاء . ويذكر الشاه أنه توجه في هذا اليوم لزيارة الكاظمين(عليه السلام) ممتطيا جواده ، ومرّ في طريقه الى الحرم المطهر بزقاق ضيق جدا ومعبر بشكل غريب على امتداده . ثم خرج من الحرم بعد أداء الزيارة ومرّ بالزقاق نفسه ، وركب العربة التي اتجهت الى عقرقوف ، وهي خلاف الجهة التي كان عليها أن تتجه نحوها – وهي كربلاء عن طريق منطقة الخر كأول منزل من منازل الطريق من بغداد إليها – وذلك لكي يشاهد الشاه آثار عقرقوف . ويذكر الشاه أن عقرقوف تبعد عن بغداد بمقدار أربعة فراسخ[٤٠] (نقل الشاه ذلك عن ياقوت الحموي) . وفي الطريق إليها توقف الشاه ومن معه لتناول طعام الغداء ، ويصف المكان الذي نزلوا به بأنه كان صحراء يكثر في أرجائها العرب من بني تميم ، وأنه رأى من هذا المكان بواسطة المنظار خيمتين أو ثلاث خيم سود لعرب المنطقة .

---

[٣٩] سفرنامه عتبات ، ص١٠٥- ١٠٦ .

[٤٠] حوالي عشرين كيلومترا .

وعندما واصل السير نحو آثار عقرقوف كان الطريق ، كما يصفه ، سيئا ولا يصلح في معظمه للمسير فيه . وسبب ذلك هو مياه فيضان الفرات التي تغمره وتجعله كالبحر ، وتتخلف عن الفيضان الأصداف والقواقع الصغيرة والكبيرة في هذه الأرض بعد أن تجف مياه الفيضان . وفيها حفر وفجوات كثيرة صنعتها الجرذان . وتتجول في هذا المكان بنات آوى على شكل مجاميع مجاميع ، وليس فيه سوى نوع واحد من الطيور . ويذكر أنهم شاهدوا في هذا المكان قافلة قادمة من حلب كانت تحمل الأقمشة وبضائع أخرى ، أمضت خمسة وثلاثين يوما كي تصل إليه .

وبعد أن توقف الشاه ومن معه لتناول طعام الغداء في الطريق الى عقرقوف ، دون الشاه في (سفرنامه) عتبات) أنهم مضوا قدما بعد ذلك نحو آثار عقرقوف ووصلوا إليها . ويصفها بأنها بناء غريب . إلا أن الخراب حلّ به ، والمتبقي منه عبارة عن جبل قطره مائتان وعشرة أقدام . وأن البناء بمجمله مبنى من اللبن ، قطر (عرض) كل لبنة منها نحو الشبر ، وطولها مساو تقريبا لطول الطابوقة العادية . ومن أجل أن يكون البناء محكما وضع حصير بين كل عشرة صفوف من اللبن ، الأمر الذي أبقاه محكما وليس به عيب الى الآن . ويبلغ ارتفاعه الحالي خمسة وعشرين ذراعا . وتوجد في أطراف آثار عقرقوف آثار أخرى خربة أكثر .

ويذكر الشاه أنه ومن معه جلسوا في ظل المبنى الأثري ، وأدوا الصلاة ، وشربوا الشاي . وأنه شاهد من ذلك المكان بواسطة المنظار قبتين لاثنين من أبناء الأئمة ، أحدهما إسمه صالحين [كذا] والآخر إبراهيم بن علي ، كما أخبره بذلك بعض النسوة العربيات اللائي كن موجودات في المكان .

تحرك الشاه وركبه من آثار عقرقوف قبل غروب الشمس بثلاث ساعات متجها نحو أول منزل من منازل طريقه الى كربلاء ، وهو منطقة الخر في ضواحي بغداد . وكتب يقول : انه لم يكن يعلم أن آثار عقرقوف تبعد عن هذا المنزل بمقدار ثلاثة فراسخ ونصف الفرسخ . وكنا في الطريق إليه نركب العربة احيانا ، ونمتطي الحصان في أحيان أخرى لسوء الطريق وكثرة الحفر فيه ويذكر الشاه أن الطريق كان فيه عدد من طيور الدراج والغزلان ، وأن قيامهم بصيد بعض تلك الطيور ، ووعورة الطريق ، وعدم اهتدائهم الى مكان المعسكر المرابط في الخر ، أخرهم في الوصول الى هذا المعسكر ، فوصلوه بعد غروب الشمس بساعة واحدة . ويذكر الشاه أيضا أن الطريق المعروف للوصول الى الخر [يقصد من الكاظمية فيما يبدو] هو طريق فيه سكان ويضم معالم عديدة ، وأنه يوجد على جهة اليمين من الخر مكان يتصل بنهر الفرات [ولعله كان يقصد به قناة الكنعانية التي كانت تربط الفرات بدجلة] . ثم يتطرق الى ذكر بعض القرى الواقعة في مناطق الطريق كالرضوانية والأنبار ، التي بناها جعفر البرمكي كما يقول . ويقول إن القرى في الوقت الحاضر في هذه المنطقة قلت عما كانت عليه في الماضي . كما يذكر أنه من المكان الذي هو فيه ، وهو منزل سفره الأول هذا الى كربلاء ، يمكن للناظر نحو الجهة اليسرى أن يشاهد مسجد براثا ، ومزار الشيخ جنيد ، ومقبرة زبيدة زوجة هارون الرشيد ، ومرقد معروف الكرخي [٥١] .

---

[٥١] سفرنامهٔ عتبات ، ص١٠٦ - ١٠٨